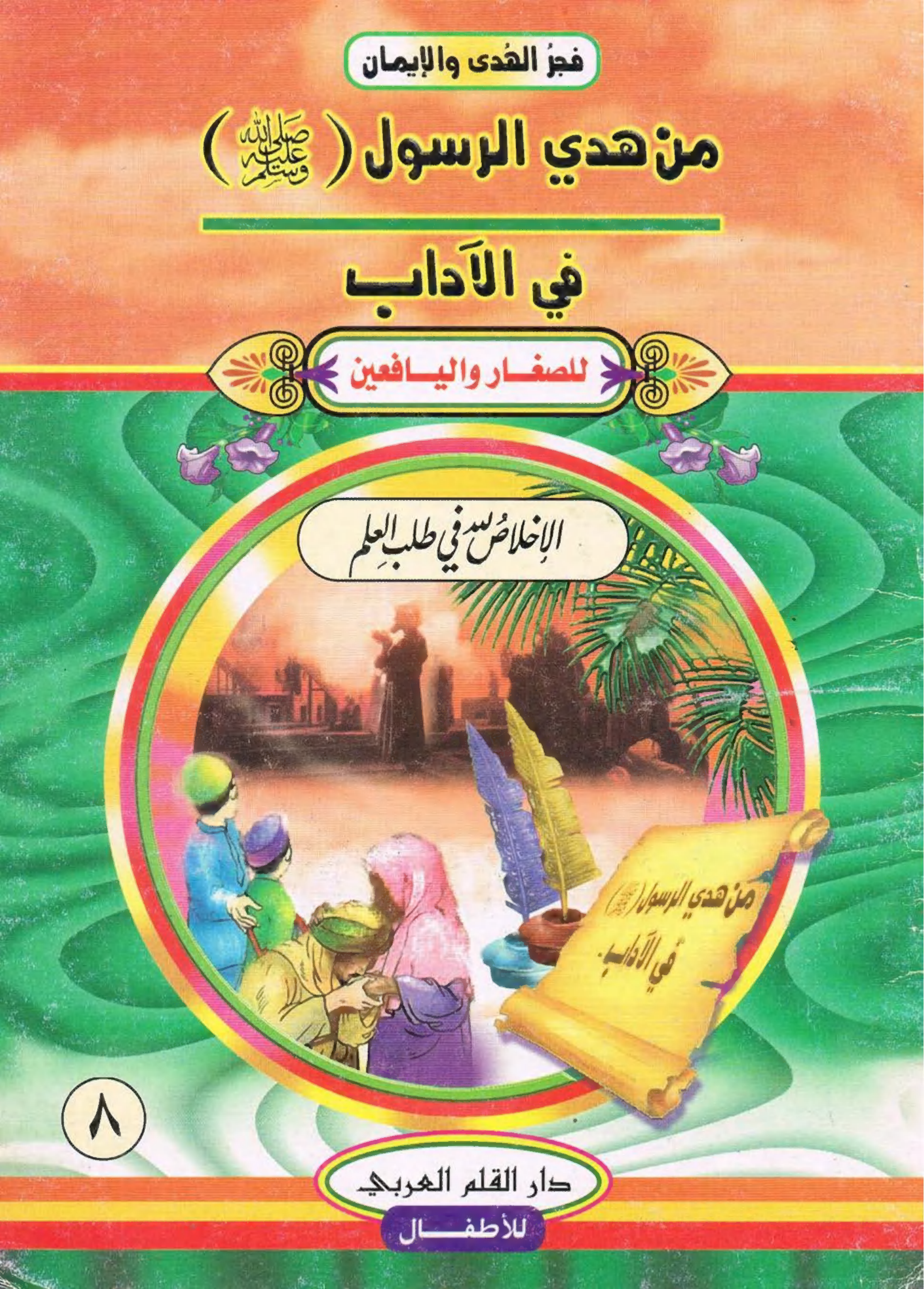

فجرُ الهُدى والإيمان
من هدي الرسول (صلى الله عليه وسلم)
في الآداب
للصغار واليافعين
الإخلاصُ في طلبِ العلم
من هدي الرسول ﷺ في الآداب
٨
دار القلم العربي
للأطفال

فجر الهدى والإيمان

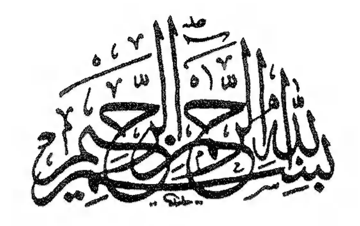
الإخلاص لله في طلب العلم

من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم في الآداب



إعداد
عبد القادر الشيخ ابراهيم

مراجعة
أحمد عبد الله فرهود



منشورات

دار القلم العربي

الطبعة الثانية

مضبوطة و مشكولة

1421 هـ - 2001 م

عنوان الدار :

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي - شارع هدى الشعراوي

ص.ب : 78 هاتف : 2213129 فاكس : 2212361 21 963+

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

عَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «العِلمُ عِلمَانِ: عِلمٌ في القلبِ فذَاكَ العِلمُ النَّافِعُ وَعِلمٌ عَلَى اللِّسَانِ فَذَاكَ حُجَّةُ الله عَلَى ابْنِ آدَمَ». رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ الخَطِيبُ.

رَاوِي الحَدِيْثِ

هَوُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عَامِرِ بنِ حَرَامٍ، يُكَنَّى أَبَا عَبدِ اللهِ شَهِدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ العَقَبَةَ مَعَ السَّبْعِينَ وَكَانَ أَصْغَرَهُمْ سِنّاً وَأَرَادَ أَنْ يَشْهَدَ بَدْراً فَخَلَّفَهُ أَبُوهُ عَلَى أَخَوَاتِهِ التِّسْعِ.

وَخَلَّفَهُ أَيْضاً يومَ أُحُدٍ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ شَهِدَ المَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَشَهِدَ مَعَ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صِفِّيْنَ.

كَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ المُكْثِرِيْنَ مِنَ الحَدِيْثِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَ مِنَ الحُفَّاظِ لِلسُّنَنِ، وكُفَّ بَصَرُهُ في آخِرِ عُمُرِهِ.

يَقُولُ جَابِرٌ: أَقْبَلَتْ عِيرٌ يومَ الجُمُعَةِ وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، فَانْفَتَلَ النَّاسُ فَلَمْ يَبقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلاَّ اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً أَنَا مِنْهُمْ.

فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ قَولَهُ: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا

﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ﴾[1].

تُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِيْنَ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَتِسْعِيْنَ سَنَةً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

المَعْنَى العَامُّ

يَجبُ عَلَى كُلِّ طَالِبِ عِلْمٍ أَنْ يُخْلِصَ النِّيَّةَ في طَلَبِهِ لِلعِلْمِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلاَ يَطْلُبُهُ لِدُنْيَا يُصِيْبُهَا، أَو مَالٍ يَحْصُلُ عَلَيْهِ، أَو مَرْكَزٍ دُنْيَوِيٍّ يَصِلُ إِلَيْهِ وَيُحَقِّقُهُ فَالله عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَقْبَلُ مِنَ العَمَلِ إِلاَّ مَا كَانَ خَالِصاً لِوَجْهِه الكَرِيْمِ يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾[2]

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[3].

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[4].

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦۗ﴾[5].

---

(١) الآية /١١/ من سورة الجمعة.

(٢) الآية /٥/ من سورة البينة.

(٣) الآية /٢/ من سورة الزمر.

(٤) الآية /١١/ من سورة الزمر.

(٥) الآيتان /١٤ ـ ١٥/ من سورة الزمر.

فَالإِخْلاَصُ شَرْطٌ أَسَاسِيٌّ لِقَبُولِ العَمَلِ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلاً أَشْرَكَ فِيْهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ»[١].

وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا جَمَعَ اللهُ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ يومَ القِيَامَةِ لِيَوم لاَ رَيْبَ فِيْهِ نَادَى مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ أَحَداً فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِهِ، فَإِنَّ اللهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ»[٢].

فَمَنْ طَلَبَ العِلمَ لِلرِّيَاءِ، أَو لِيُجَادِلَ بِهِ العُلَمَاءَ، أَو ليَتَعَالَى عَلَى غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ وَيَتَظَاهَرَ بِأَنَّهُ عَالِمٌ كَانَ مَرْدُوداً عَلَيْهِ وَغيرَ مَقْبُولٍ وَمَضْرُوباً بِهِ وَجْهُهُ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى عَلَيهِ يومَ القِيَامَةِ. رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعمَهُ فعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيْهَا؟.

قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ فُلاَنٌ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيْلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلقِيَ في النَّارِ.

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ القُرآنَ فَأُتِيَ بِهِ فعرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلتَ فِيْهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ العِلمَ وَعَلَّمْتُ فِيْكَ القُرآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرأْتَ

---

(١) رَوَاهُ ابنُ مَاجَه.

(٢) رواهُ التِّرمِذِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ وَالبَيْهَقِيُّ.

لِيُقَالَ هُوَ قَارِىءٌ، فَقَدْ قِيْلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلقِيَ في النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ الله عَلَيهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فمَا عَمِلتَ فِيْهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيْلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنفَقَ فِيْهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيْهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فقَدْ قِيْلَ.

ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فسُحِبَ عَلَى وَجْهِه حَتَّى أُلقِيَ في النَّارِ.

وَفي الحَدِيثِ الَّذي مَعَنَا يَقُولُ فِيْهِ الرَّسُولُ ﷺ: «العِلمُ عِلمَانِ: عِلمٌ في القَلبِ فَذَاكَ العِلمُ النَّافِعُ، وَعِلم عَلَى اللِّسَانِ فَذَلِكَ حُجَّةُ اللهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ».

فَالعلمُ النَّافِعُ هُوَ الَّذي يُرِيْدُ بِهِ صَاحِبُهُ وَجْهَ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ قَدْ تَعَلَّمَهُ لِوَجْهِ الله، وَلأَجْلِ العِلمِ وَالعَمَلِ فَيَلتَزِمُ بِهِ وَيَقُومُ بِتَطْبِيْقِهِ وَبِنَشْرِهِ بَينَ النَّاسِ.

وَوَجْهُ كَونِهِ نَافِعَاً أَنَّهُ يَزِيدُهُ عِلمَاً وَعَمَلاً وَتَوَاضُعَاً وَزُهْدَاً وَعِفَّةً فَيَجِدُ ثَوابَ ذَلِكَ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ.

وَأَمَّا عِلمُ اللِّسَانِ: فَهُوَ الَّذي طَلَبَهُ صَاحِبُهُ لِلدُّنْيَا، وَلَمْ يَكُنْ صَادِقَاً في طَلَبِهِ، وَلَمْ يَعْمَلْ بِمُقْتَضَاهُ. قَالَ الشَّاعِرُ الوَاعِظُ:

وَعَــالِــمٌ بِعِلْمِــهِ لَــمْ يَعْمَلَــنْ
مُعَــذَّبٌ مِــنْ قَبْـلِ عُبَّـادِ الـوَثَـنْ

وَبِذَلِكَ يَكُونُ عِلمُهُ حُجَّةً عَلَيهِ يَومَ القِيَامَةِ، يَومَ يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ لَهُ وَلأَمْثَالِهِ مِنْ عُلَمَاءِ السُّوءِ: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1].

وَلَقَدْ أَخبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ هَذا الصِّنفِ مِنْ عُلَمَاءِ السُّوءِ، فَقَالَ: يُجاءُ بِالرَّجُلِ يومَ القِيَامَةِ فَيُلقَى في النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ في النَّارِ، فَيَدُورُ كَما يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلانُ مَا شَأنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأمُرُنَا بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ؟؟.

قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُم بِالمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ[2].

قَولُهُ ﷺ (فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ) تَنْصَبُّ أَمْعَاؤُهُ مِنْ جَوفِهِ وَتَخْرُجُ مِنْ دُبُرِهِ بِسُرعَةٍ.

(بِرَحَاهُ) الرَّحَا: هُوَ الحَجَرُ الَّذِي يَدُورُ بِهِ الحِمَارُ، وَهُوَ حَجَرٌ مَعْرُوفٌ يُسْتَعْمَلُ في طَحنِ الحُبُوبِ وَغَيرِهَا.

هَذا وَلِلحَدِيثِ تَتِمَّةٌ، قَالَ.. أَيْ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رَاوِي الحَدِيثِ وَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: يَعْني النَّبِيَّ ﷺ: مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِأَقْوَامٍ

---

(١) الآيتان / ٢ ـ ٣/ من سورة الصف.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيْضَ مِنْ نَارٍ، قُلتُ مَنْ هُؤلاءِ يَا جِبْرِيْلُ؟ قَالَ: «خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ الَّذِيْنَ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ... زَادَ البَيْهَقِيُّ «وَيَقْرَؤُونَ كِتَابَ اللهِ وَلاَ يَعْمَلُونَ بِهِ».

وَرُوِيَ عَنِ الوَلِيدِ بنِ عُقْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أُنَاساً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ يَنْطَلِقُونَ إِلَى أُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: بِمَ دَخَلْتُمُ النَّارَ؟. فَوَاللهِ مَا دَخَلْنَا الجَنَّةَ إِلاَ بِمَا تَعَلَّمْنَا مِنْكُمْ، فَيَقُولُونَ: إِنَّا كُنَّا نَقُولُ وَلاَ نَفْعَلُ»[١].

وَعَنْ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: تَعَرَّضْتُ، أَو تَصَدَّيْتُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَطُوفُ بِالبَيْتِ، فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اللَّهُمَّ غُفْرَاً، سَلْ عَنِ الخَيْرِ، وَلاَ تَسْأَلْ عَنِ الشَّرِ، شِرَارُ النَّاسِ، شِرَارُ العُلَمَاءِ فِي النَّاسِ»[٢].

وَعَنْ أَبِي بَرزَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ، مَثَلُ الفَتِيْلَةِ تُضِيءُ عَلَى النَّاسِ وَتَحْرُقُ نَفْسهَا»[٣].

وَعَنْ عَبدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ.

(٢) رَوَاهُ البَزَّارُ.

(٣) رَوَاهُ البَزَّارُ.

ﷺ: «رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرُ فَقِيْهٍ، وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُهُ ضَرَّهُ جَهْلُهُ، اقْرَأِ القُرآنَ مَا نَهَاكَ، فَإِنْ لَمْ يَنْهَكَ فَلَسْتَ تَقْرَؤُهُ»(١).

فِيْهِ حَثٌّ عَلَى قِرَاءَةِ القُرآنِ، وَتَدَبُّر آيَاتِهِ، وَفَهْمِ مَعَانِيْهَا لِلعَمَلِ بِهَا، وَمَنْ لَمْ تَكُنْ قِرَاءَتُهُ لِلقُرآنِ هَكَذَا كَانَ حُجَّةً عَلَيهِ يَومَ القِيَامَةِ، لِذَلِكَ رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَومَ القِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُهُ»(٢).

وَعَنْ وَاثِلَةَ بنِ الأَسْقَعِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ بُنْيَانٍ وَبَالٌ عَلَى صَاحِبِهِ إِلاَّ مَا كَانَ هَكَذَا، وَأَشَارَ بِكَفِّهِ، وَكُلُّ عِلمٍ وَبَالٌ عَلَى صاحِبِه إِلاَّ مَنْ عَمِلَ بِهِ»(٣).

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي، كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ»(٤).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لاَ يَكُونُ مُؤْمِناً حَتَّى يَكُونَ قَلبُهُ مَعَ لِسَانِهِ سَوَاءً،

---

(١) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ.

(٢) الطَّبَرَانِيُّ.

(٣) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ أَيْضاً.

(٤) رَوَاهُ أَحْمَدُ والطَّبَرَانِيُّ وَالبَزَّارُ.

وَيَكُونَ لِسَانُهُ مَعَ قَلبِهِ سَوَاءً، وَلاَ يُخَالِفُ قَولُهُ عَمَلَهُ، وَيَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»[١].

وَعَنْ مَنْصُورِ بْنِ زَاذَانَ قَالَ: نُبِّئْتُ أَنَّ بَعْضَ مَنْ يُلْقَى في النَّارِ يَتَأَذَّى أَهْلُ النَّارِ بِرِيْحِهِ، فَيُقَالُ لَهُ: وَيْلَكَ مَا كُنْتَ تَعْمَلُ؟.

مَا يَكْفِيْنَا مَا نَحْنُ فِيْهِ مِنَ الشَّرِ حَتَّى ابْتُلِيْنَا وبِكَ وَبِنَتْنِ رِيْحِكَ. فَيَقُولُ: كُنْتُ عَالِماً فَلَمْ أَنْتَفِعْ بِعِلْمِي[٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ تَعَالَى لاَ يَتَعَلَّمُهُ إِلاَّ لِيُصِيْبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يومَ القِيَامَةِ[٣] وَعَرفُ الجَنَّةِ: رِيْحُهَا.

كَمَا أَخبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مِنْ عَلامَاتِ قِيَامِ السَّاعَةِ رَفْعَ العِلمِ، فَقَالَ: إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرفَعَ العِلمُ، وَيُثْبَتَ الجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الخَمْرُ، وَيُظْهَرَ الزِّنَا[٤].

(الأَشْرَاطُ) جَمْعُ شَرطٍ، وَهِيَ العَلاَمَةُ. أَيْ مِنْ عَلامَاتِ قِيَامِ السَّاعَةِ، رَفْعُ العِلمِ، وَيَكُونُ رَفْعُهُ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ كَمَا أَوْضَحَ

---

(١) رَوَاهُ الأَصْبَهَانِيُّ.

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالبَيْهَقِيُّ.

(٣) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَه وَابْنُ حِبَّانَ وَالحَاكِمُ.

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ فِي حَدِيْثٍ آخَرَ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوساً جُهَّالاً فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[١].

أَيْ أَضَلُّوا أَنْفُسَهُمْ وَأَضَلُّوا غَيْرَهُمْ، وَتَحَمَّلُوا وِزْرَ ذَلِكَ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ أَهْلِ النَّارِ وَهُمْ بَيْنَ طَبَقَاتِهَا يُعَذَّبُونَ: ﴿يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾[٢].

وَلَقَدْ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ حِرْصاً مِنْهُ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالعِلمِ، خَوفاً مِنْ فِقْدَانِهِ وَضَيَاعِهِ، فَقَالَ ﷺ: «خُذُوا العِلمَ قَبْلَ أَنْ يُرفَعَ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: كَيْفَ يُرْفَعُ؟ فَقَالَ: أَلاَ إِنَّ ذَهَابَ العِلمِ ذَهَابُ حَمَلَتِهِ. وَكَرَّرَهَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ»[٣].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَومَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ القَومِ: سَمِعَ مَا قَالَ، فَكَرِهَ مَا قَالَ.

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

(٢) الآيات / ٦٦ ـ ٦٧ ـ ٦٨/ من سورة الأحزاب.

(٣) رَوَاهُ أَحْمَدُ والطَّبَرَانِيُّ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيْثَهُ، قَالَ: أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلَ عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: هَا أَنَا يا رَسُولَ الله، قال: فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ.

قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غيرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ[١].

وَقَولُهُ ﷺ (أُرَاهُ) بِالضَّمِّ أَي أَظُنُّهُ.

وَقَولُهُ (إِذَا وُسِّدَ) أَي: أُسْنِدَ، وَأَصْلُهُ مِنَ الوِسَادَةِ، وَكَانَ مِنْ شَأْنِ الأَمِيرِ عِنْدَهُمْ إِذَا جلَسَ أَنْ تُوْضَعَ تَحْتَهُ وِسَادَةٌ.

المَعْنَى: أَنَّ إِسْنَادَ الأَمرِ إِلى غَيرِ أَهلِهِ مِنْ عَلامَاتِ قِيَام السَّاعَةِ، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ غَلَبَةِ الجَهْلِ، وَرَفْعِ العِلمِ، وَضَيَاعِ الأَمَانَةِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُلتَمَسَ العِلمُ عِنْدَ الأَصَاغِرِ».

يُؤْخَذُ مِنَ الحَدِيثِ أَنَّ العِلمَ الصَّحِيْحَ النَّافِعَ لا يُؤْخَذُ إِلاَّ عَنْ أَهْلِهِ، كَمَا يُؤخَذُ مِنْهُ، أَدَبُ العَالِمَ وَالمُتَعَلِّمِ، أَمَّا العَالِمُ: فَهُوَ ترَكُ زَجْرِ السَّائِلِ حَيْثُ أَدَّبَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالإِعْرَاضِ عَنْهُ، ثُمَّ أَعْطَاهُ جَوَابَ مَا سَأَلَ.

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى المُتَعَلِّمِ، فَهُوَ أَنْ لاَ يَسْأَلَ العَالِمَ وَهُوَ مَشْغُولٌ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

بِغَيْرِهِ لأَنَّ حَقَّ الجَوَابِ لِلأَوَّلِ.

وَقَدِ اسْتَدَلَّ الإِمَامُ مَالِكٌ وَأَحْمَدُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بِظَاهِرِ الحَدِيْثِ عَلَى عَدَمِ قَطْعِ الخُطْبَةِ لِسُؤَالِ سَائِلٍ، بَلْ يُجِيْبُهُ بَعْدَ فَراغِهِ مِنْهَا.

أَمَّا جُمْهُورُ العُلَمَاءِ فَقَدْ فَصَّلُوا بِأَنَّهُ إِنْ كَانَ السُّؤَالُ هَامَّاً في أَمْرِ الدِّيْنِ فَإِنَّهُ يُسْتَحَبُّ قَطْعُ الخُطْبَةِ لإِعْطَاءِ الجَوَابِ، ثُمَّ يُتِمُّهَا.

وَكَذَلِكَ الحُكْمُ بَيْنَ الخُطْبَةِ وَالصَّلاةِ، فَإِنْ كَانَ السُّؤَالُ غيرَ هَامٍّ فَإِنَّهُ يُؤَخَّرُ كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ. وَإِنْ كانَ تركُ السُّؤَالِ أَوْلَى في هَذا الوَقْتِ.

وَقَدْ وَقَعَ نَظِيْرُهُ حِينَ سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ وَأُقِيْمَتِ الصَّلاةُ، فلمَّا فَرغَ مِنْهَا، قَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ؟ فَأَجابَهُ كَمَا في البُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ.

وَإِنْ كَانَ السُّؤَالُ ضَرُورِيّاً قُدِّمَتْ إِجَابَتُهُ كَمَا في حَدِيْثِ أَبي رِفَاعَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ. أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَخطُبُ: رَجُلٌ غرِيْبٌ لاَ يَدْرِي دِيْنَهُ جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِيْنِهِ، فَتَركَ خِطْبَتَهُ وَأَتَى بِكُرْسِيٍّ فَقَعَدَ عَلَيْهِ فَجعَلَ يُعلِّمُهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا.

وَكَمَا في الصَّحِيْحَيْنِ في قِصَّةِ سَالمٍ، أَو سُلَيْكٍ لَمَّا دَخَلَ

المَسْجِدَ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ، فَقَالَ لَهُ: أَصَلَّيْتَ رَكْعَتَيْنِ؟ الحدِيْثَ[١].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُقْبَضُ العِلمُ، وَيَظْهَرُ الجَهْلُ والفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ، قِيْلَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الهَرْجُ؟ فَقَالَ هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَّكَهَا كَأَنَّهُ يُرِيْدُ القَتْلَ»[٢].

وَلَقَدْ شَبَّهَ النَّبِيُّ ﷺ حَمَلَةَ العِلمِ وَنَشْرِهِ بِالغَيْثِ الَّذِي يَأْتِي بِالخَيْرِ أَيْنَمَا وَقَعَ، فَقَالَ ﷺ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلمِ كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضاً فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ.

وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا، وَسَقَوا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيْعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً، وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً.

فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِيْنِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسَاً، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ[٣].

خَاتِمَةٌ فِي شَرحِ مُفْرَدَاتِ الحَدِيثِ:

---

(١) فَتْحُ البَارِي.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

(نَقِيَّةٌ) القِطْعَةُ الطَّيِّبَةُ. كَمَا يُقَالُ: فُلانٌ نَقِيَّةُ النَّاسِ: أَيْ أَطْيَبُهُمْ.

(الكَلأُ وَالعُشْبُ) الكَلأُ يُطْلَقُ عَلَى النَّبْتِ الرَّطْبِ وَاليَابِسِ مَعاً، وَالعُشْبُ: لِلرَّطْبِ فَقَطْ.

(أَجَادِبُ) الأَرْضُ الصُّلبَةُ الَّتِي لاَ تَحْمِلُ المَاءَ.

(قِيْعَانٌ) جَمْعُ قَاعٍ: وَهِيَ الأَرْضُ المُسْتَوِيَةُ المَلْسَاءُ الَّتِي لاَ تُنْبِتُ.

قَالَ القُرْطُبِيُّ: ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الدِّيْنِ مَثَلاً بِالغَيْثِ العَامِّ الَّذِي يَأْتِي النَّاسَ في حَالِ حَاجَتِهِمْ إِلَيهِ، وَكَذَا كَانَ حَالُ النَّاسِ قَبلَ مَبْعَثِهِ، فَكَمَا أَنَّ الغَيْثَ يُحْيِي البَلَدَ المَيِّتَ فَكَذَا عُلُومُ الدِّيْنِ تُحْيي القَلبَ المَيِّتَ.

ثُمَّ شَبَّهَ السَّامِعِيْنَ لَهُ بِالأَرْضِ المُخْتَلِفَةِ الَّتِي يَنْزِلُ بِهَا الغَيْثُ، فَمِنْهُمُ العَالِمُ العَامِلُ المُعَلِّمُ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الأَرْضِ الطَّيِّبَةِ شَرِبَتْ فَانْتَفَعَتْ في نَفْسِهَا، وَأَنْبَتَتْ فَنَفَعَتْ غيرَهَا.

وَمِنْهُمُ الجَامِعُ لِلعِلمِ غيرَ أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ بِنَوَافِلِهِ، وَلَمْ يَتَفَقَّهْ فِيْمَا جَمَعَ لَكِنَّهُ أَدَّاهُ لِغَيْرِهِ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الأَرضِ الَّتِي يَسْتَقِرُّ فِيْهَا المَاءُ فَيَنتَفِعُ النَّاسُ بِهِ، وَهُوَ المُشَارُ إِلَيهِ بِقَولِهِ: «نَضَّرَ الله امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا».

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُ العِلمَ فَلاَ يَحْفَظُهُ وَلاَ يَعْمَلُ بِهِ وَلاَ يَنْقُلُهُ

لِغَيْرِهِ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الأَرْضِ السَّبْخَةِ أَوِ المَلْسَاءِ الَّتِي لاَ تَقْبَلُ المَاءَ أَو تُفْسِدُهُ عَلَى غَيْرِهَا[١].

يَقُولُ يَحْيَى بنُ يَعْمُرَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بنُ عَبدِ الرَّحْمَنِ حَاجَّيْنِ أَو مُعْتَمِرَيْنِ، فَقُلنَا: لَو لَقِيْنَا أَحَدَاً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلاءِ في القَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ دَاخِلاً المَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الكَلاَمَ إِلَيَّ فَقُلتُ: أَبَا عَبدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا أُنَاسٌ يَقْرَؤُونَ القُرآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ[٢] العِلمَ وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِم يَزْعُمُونَ أَنْ لاَ قَدَرَ، وَأَنَّ الأَمرَ أُنُفٌ، قَالَ: فَإِذَا لَقِيْتَ هَؤُلاءِ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بَرَآءُ مِنِّي، لَوْ أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنُ بِالقَدَرِ لأَنَّهُمْ لَمْ يَأْخُذُوا العِلمَ بِإِخْلاَصٍ، وَإِنَّمَا أَخَذُوهُ لِلمِرَاءِ وَالجَدَلِ وَاللهُ أَعْلَمُ.

تَمَّتِ الرِّسَالَةُ وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ

وَإِلَى لِقَاءٍ مَعَ أَدَبٍ آخَرَ

---

(١) فَتحُ البَارِي.

(٢) يَتَقَفَّرُونَ: يَتَتَبَّعُونَ.

فجرُ الهُدى والإيمان

من هدي الرسول (ﷺ) في الآداب

للصغار واليافعين

١- التقوى
٢- كظمُ الغيظ
٣- النصيحةُ
٤- الاستقامة
٥- الحِلم والرفق والأناة
٦- التحذير من كتمان العلم
٧- الحثُّ على طلب العلم
٨- الإخلاصُ لله في طلب العلم
٩- الحياءُ
١٠- الخلقُ الحسن
١١- حقّ الجوار
١٢- صلةُ الرحم
١٣- حقوقُ الوالدين
١٤- عقوقُ الوالدين
١٥- صورٌ من بر الوالدين
١٦- حقّ الولد

إليكَ عزيزي القارئَ : بعضَ أحاديثِ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الآداب ، لتكون ضياء يبدد ظلمات الحيرة والجهالة ، وتبسط أمام الناشئة صوراً رائعة من أدب الرسول الجم وهو القائل : (أدبني ربي فأحسن تأديبي) وهو القائل أيضاً : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

فاسع عزيزي القارئ - إلى اقتناء هذه المجموعة الجديدة من مجموعات فجر الهدى والإيمان ، تقدمها إليك دار القلم العربي بحلب وهي حريصة على أن تقدم لك كل ماهو مفيد وممتع .

الناشر

I.S.B.N :1-8080-8

دار القلم العربي
للأطفال